ثلاثة نماذج من التفكير الميتافيزيقي

فاتنة حمدي
كلية الآداب - جامعة بغداد

يختلف المفكرون في تقبلهم للميتافيزيقا ، فهم بين مناصر شديد الحماسة لها وبين معارض مغالي في رفضه لها ويبدو ان الميتافيزيقا من المعارف التي تجذب بشدة او تنفر بشدة كما ان تقبلها او رفضها قلما يتم دون تدخل العاطفة والتحيز وكانت النتيجة ان اصبحت الميتافيزيقا بين من يعتبرها اهم وانبل العلوم اليقينية على الاطلاق وبين من يعتبرها لغوا لا يتفق عليه حتى اصحابه والموقفان في حاجة الى نقد وتمحيص.

اذ علينا اولا ان نتوصل الى تكوين صورة واضحة ودقيقة عن طبيعة الموضوع قبل ان نقبله او نرفضه وهذا هو ما تحاول هذه الدراسة القيام به من خلال تحليل مواقف ثلاثة من اهم الفلاسفة الميتافيزيقيين لنتوصل الى بعض العناصر المشتركة في التفكير الميتافيزيقي عندهم برغم اختلافاتهم ، ويمكن اعتبار هذه الدراسة بمثابة مدخل الى فهم طبيعة التفكير الميتافيزيقي .

وفي نظرى انه يمكن تثبيت المسائل التي يشترك فيها اكثر انواع التفكير الميتافيزيقي في خمسة هي :ـ

١ ـ موضوع الميتافيزيقا هو الوجود او تجربة الوجود .

٢ ـ التفكير الميتافيزيقي يتخطى التجربة الحسية .

٣ ـ تعمل الميتافيزيقا على استحداث مفاهيم ومبادىء وانماط تشترك

فيها كل انواع الوجود او كل تجربة من تجارب الوجود .

٤ ـ تعمل الميتافيزيقا على الافادة من العلم عامة او من بعض العلوم للتوصل الى تعميمات تخص كليه الحقيقة والوجود .

٥ ـ تعمل الميتافيزيقا على جعل النتائج التي تتوصل اليها اقرب الى اليقين .

وسوف استعرض كلا من هذه النقاط على حده من خلال ثلاثة نماذج ميتافيزيقية تبين تطور التفكير الميتافيزيقي مع المحافظة على السمات الاساسية للموضوع .

١ ـ يتفق اكثر الميتافيزيقيين على ان الوجود او الكينونة يكون بشكل او بآخر موضوع الميتافيزيقا اذ يعرف ارسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ ق٠م) الميتافيزيقا او الفلسفة الاولى كما يسميها على انها « علم يبحث في الوجود بما هو موجود وفي الصفات الجوهرية التي يتصف بها »[١] فهي تبحث في اعم صفات الوجود على عكس العلوم الاخرى التي تقتطع جزء معينا من الوجود للبحث فيه ، كما تبحث في المبادىء الاولى للوجود وفي العلل والمسببات الاولية له[٢] .

اما كانت (١٧٢٤ـ١٨٠٤) فانه يتحول من دراسة الوجود الموضوعي الى دراسة تجربة الوجود ، هذا التحول من الموضوع الى الذات يشبهه كانت بالثورة الكوبرينكية التي حولت مركز الكون من الارض الى الشمس[٣] .

اذ يعتقد كانت ان الوجود في ذاته لا ينفتح لنا الا من خلال ما يظهر لنا منه واذا كان جوهر الوجود في ذاته (Existenz an sich) غير معروف لنا فاننا على الاقل نستطيع معرفة جوهر تجربتنا

للوجود . وجوهر تجربتنا للوجود هذا لايزيد على كـــونه المبـادىء القبلية[٤] للتجربة الانسانية اذ في رأي كانت ان المعرفة الانسانيةتكتمل بتوافر عنصرين اساسيين للتجربة : عنصر بعدي يصل الينـا من العالم الخارجي بعد التجربة تستلمه الحواس سلبيا وبشكل مشتت ويتغـير بتغير العوامل الخارجية كالالوان والاشكال ، وعنصر قبلي يوجد قبـل التجربة في الذات وتفرضه الذات على معطيات العالم الخارجي لترتيب هذه المعطيات وتنظيمها بموجب صور ومفاهيم قبلية ثابتة وضروريـة وعامة لكل انواع التجربة وهي مستقلة عن التجربة وان كانت تنطبـق عليها .وموضوع الميتافيزيقا هو دراسة هذه العناصرالقبلية للتوصل الى معرفة ما هو ثابت وعام وضروري في تجربة الوجود . وهكذا يعرف كانت الميتافيزيقا في نهاية كتابه (نقد العقل المجرد) على انها « تبحث في ملكه العقل من ناحية المعرفة القبلية المجردة لديها الى جانب كونها تعرض لكل ما يكون نظاما لطرق المعرفة الفلسفية المجردة من هذا النوع كتمييز لها عن كل الاستعمالات التجريبية والرياضية للعقل »[٥] . وكانت يعني بالعقل هنا كل امكانيات المعرفة الانسانية . الميتافيزيقا عند كانت تبحث اذن في شروط تجربتنا للوجود او للكينونة وهذا الانتقال من الوجود الى تجربة الوجود هو نتيجة تأثير ديكارت (١٥٩٦ــ١٦٥٠)[٦] وهيوم[٧] (١٧١١ــ١٧٧٦) على تطور الفكر الميتافيزيقي ، هذا التأثير الذي بقيت اثاره الى يومنا هذا والذي كان السبب الاساسي في الموجة المثالية التي طغت على الفكر الفلسفي بين القرنين الثامن والتاسع عشـر والتي كان التخلص منها في غاية الصعوبة .

ويتجلى النمط الثالث في التفكير الميتافيزيقي المعاصر عند الفـريد

نورث وايتهيد (١٨٦١ـ١٩٤٧) الذي يمثل التفكير الميتافيزيقي عنده عودة الى المنابع الارسطية مع الاختلافات الكثيرة التي ولدها تطور الفكر على مدى اكثر من الفي عام ولو صح لنا ان نعتبر ميتافيزيقا ارسطو موضوعية وميتافيزيقا كانت تركز على الناحية الذاتية كان من الممكن ان نعتبر ميتافيزيقا وايتهيد محاولة لتخطى ثنائية الموضوع والذات لبناء نظرية توحد بينهما من زاوية ما يفرضه العلم الفيزياوي .

يعرف وايتهيد الميتافيزيقا او الفلسفة التأملية على انها « محاولة بناء نظام من الأفكار العامة يكون مترابطا ومنطقيا وضروريا يمكن بالرجوع اليه تفسير كل عناصر تجربتنا»(٨).

فالميتافيزيقا اذن بحث منظم عن أسس ومبادىء الكون او ماهيته هذا البحث يكون نظاما من الافكار العامة يبدأ بالتجربة ثم يعمم منها بحرية محدوة بالمنطقية والترابط مع افتراض عقلانية الكون او على الاقل عقلانية تجربتنا للكون .

٢ ـ ان البقاء ضمن اطار التجربة الحسية المباشرة محاولة لابد ان تبوء بالفشل وذلك لان المعرفة الانسانية في ابسط انواعها تتضمن اكثر بكثير من معطيات التجربة الحسية المباشرة وحتى جملة « لا صحة الا لمعطيات التجربة الحسية المباشرة » تتخطى التجربة الحسية المباشرة او ما يسمى بمعطيات الحواس sense data ولكن ذلك لا يعني ان كل تخطي لحدود التجربة الحسية المباشرة هو ميتافيزيقا كما لايعني ان كل التفاهات التي تقال بدون اخذ التجربة الحسية والواقع المعاش بنظر الاعتبار هي ميتافيزيقا .

ان استخلاص النتائج العامة التي تعطيها التجربة الانسانية والتجربة

الحسية لجزء منها والتوصل الى مبادىء عامة عن طبيعة الحقيقة والواقع والوجود هو جزء ليس من وظيفة الميتافيزيقا وحدها وانما ايضا من وظيفة العلم وان كانت مبادىء الميتافيزيقا تذهب ابعد في مجال التعميم لانها لا تتخطى التجربة الحسية فحسب ، وانما تحاول تخطي التخصص الضيق في العلوم الى تعميمات تصدق على كل العلوم .

وهذا ما نجده بالفعل عند ارسطو الذي يعتبر الميتافيزيقا محاولة لمعرفة مبدأ او جوهر الوجود فهو بهذا مضطر الى ترك التجربة الحسية والذهاب ابعد منها اذ ان المعرفة عند ارسطو تحصل عند معرفة الكلي في الجزئي « اذ على الرغم من ان عملية الادراك الحسي تخص الجزئيات الا ان محتواها كلي »[٩] وما نعرفه نحن من الاشياء هو صورتها وليس مادتها[١٠] . كما ان الادراك الحسي يكون الجزء المبدأي او الاول من المعرفة التي لا تكتمل الا باكتمال اصدار الحكم على الموضوع بالاستعانة بمفاهيم كلية تضع الموضوع ضمن الجنس والنوع الملائمين[١١] فاذا تجاوزت ابسط انواع المعرفة حدود الحواس بالضرورة فلا شك في ان معرفة المبادىء الاولى للحقيقة لا يمكن ان تكتفي بشكل من الاشكال بالادراك الحسي[١٢] ومن هذا فان كون ارسطو واقعي لا يشك مطلقا في حقيقة وجود العالم الخارجي لا يعني انه تجريبي يعتبر ان معطيات التجربة الحسية هي الوحيدة التي تعطينا معرفة يقينية .

والامر عند كانت لا يختلف كثيرا عنه عند ارسطو حيث ان كانت تأثر بنظرية المعرفة الارسطية ووضعها في قالب فلسفي محكم مضيفا اليها اضافات جيدة . يعتبر كانت ان التجربة الحسية عنصر اساسي وضروري لحصول المعرفة الا ان ما يستلمه الانسان بواسطة الحواس

على شكل احساسات مشتته لا يعتبر معرفة بأي شكل من الاشكال الا بعد ان يقوم العقل بترتيبه بالاستعانة بالبناء القبلي للعقل. وكانت يتفق مع ارسطو في ان ابسط الادراكات الحسية يدخل فيها عنصر كلي يفرضه العقل على معطيات الحواس من بنائه القبلي[١٣] ومن هنا فاننا لانستطيع في المعرفة ان نعتمد على التجربة الحسية فحسب وانما علينا ان نحلل الاضافات التي يضيفها العقل على معطيات الحواس لفهم طبيعة الحقيقة، وكانت يعتبر ان من الضروري فصل العنصر القبلي في المعرفة الانسانية ودراسته بمعزل عن العنصر البعدي وعن علاقته بالتجربة . وقيام العقل بدراسة البناء القبلي للعقل باستقلاله عن التجربة هو بالذات الميتافيزيقا وهذه الممارسة تمثل محاولة لدراسة العنصر الذي يؤمن الثبات والضرورة والكلية في الحقيقة كما انها محاولة لمعرفة امكانيات العقل النظرية وحدوده فهي بمثابة محاكمة لامكانيات المعرفة الانسانية او العقل الانساني على الاطلاق فهي تدرس امكانية العلوم وامكانية الميتافيزيقا كعلم يعطينا معرفة ضرورية وجديدة عن الحقيقة .

يرفض وايتهيد الفرض الفسلفي الذي يحاول تفسير عناصر التجربة بالرجوع الى الوعي او الفكر او الادراك الحسي[١٤] اذ انه يعتبر ان كل لحظة من لحظات التجربة ذات قطبين ، قطب فيزياوي وقطب ذهني[١٥] ولا يمكن لاي واحد من هذين القطبين ان يوجد على حده وانما تتكون الحقيقة من وحدات نهائية تختفي او تنصهر فيها هذه الثنائية . يقول وايتهيد بالحرف الواحد ان الطريقة التجريبية المغالى فيها تسقط ليس فقط في الميتافيزيقا وانما حتى في العلوم الطبيعية[١٦] اذ ان ما يحتاج اليه الفكر هو : « اللعب الحر للخيال الذي تتحكم فيه ضرورات التماسك

والمنطـق » اذ ان ما لا نستطيع ملاحظتـه عن طريق التجربة المباشرة قد يظهر لنا واضحا اذا استعنا بالخيال .

كل هـذا يعني اذن ان هؤلاء الميتافيزيقيين الثلاثة يؤكدون ان التجربة الحسية ضرورية ولكنها لا تكفي لاكتمال المعرفة العلميـة والميتافيزيقية . الا انه من الضروري هنا ان نلاحظ ان كل الميتافيزيقيين لا يتفقون على هذه النقطة اذ ان بعضهم يعتبر الحواس خادعة لا تعطينا شيئا عن طبيعة الحقيقة ولهـذا فهم يهملون التجـربة الحسية اهمالا تاما[١٧] .

٣ ــ يمكن اعتبار اهم ما يميز التفكير الميتافيزيقي كون الميتافيزيقا تعمل على استحداث مفاهيم ومبادىء عامة لفهم الوجـود او تجربة الوجود ، تكون هذه المفاهيم ثابتة وضرورية ومفسرة لكل الوجود والكينونة بشكل عام وهذه النقطة ترتبط بمشـكلة تثبيت جوهـر الحقيقة[١٨] والميتافيزيقيون يتفقون في اهتمامهم ببحث جوهر الحقيقة وان كان بعضهم يتحرج من استعمال كلمة «جوهر» الا انهم يختلفون اختلافا كبيرا في طبيعة هذا الجوهر ، فافلاطون مثـلا يضعه في عالم خاص به يسميه عالم المثل[١٩] بينما ينزله ارسطو الى عالم الموجودات الجزئيـة ليضعه فلاسفة العصر الوسيط في الحقيقة الالهية حتى يأتي هيوم وينكر وجوده واهميته فيأتي كانت لانقاه ووضعه في عالم تجربة الذات للوجود ثم يقوم فيتكنشتاين[٢٠] بنقله الى عالم اللغة التي تصف تجربتنا للعالم والوجود .

وقد لا تقف محاولة الفيلسوف الميتافيزيقي عند استحداث المفاهيم

والمبادىء المشتركة للوجود وانما تتعداها الى محاولة بناء نظام ميتافيزيقي متكامل ومتسلسل لاهم ما يميز اوجه الحقيقة كلها بشكل شامل ومنطقي بحيث كما يقول وايتهيد ان كل « عنصر من عناصر تجربتنا يمكن تفسيره بالاستعانة بالنظام »[٢١] وهذا ينطبق على اكثر المحاولات الميتافيزيقية بشكل او بآخر .

فعند ارسطو تبحث الميتافيزيقا في الوجود بما هو موجود او باهم الصفات الجوهرية التي تفسر الوجود بغض النظر عن اختلاف الموجودات او الصفات العرضية التي يتميز بها هذا الوجود او ذاك . ارسطو يبحث اذن عن مبدأ الكينونه او مبدأ الوجود ، هذا المبدأ الذي يعطي الوجود حقيقته ويميزه عما هو غير موجود ، يميز الوجود من العدم : « نحن نبحث عن المبادىء الاولى والعلل الاعلى »[٢٢] لكل الموجودات وفي هذا تختلف الميتافيزيقا عن غيرها من المباحث لانها تحاول الوصول الى المبادىء الاولى والعلل النهائية التي ما بعدها من شيء . فدراسة الوجود عند ارسطو هي دراسة الجوهر substance [٢٣] . ما هو الجوهر بالنسبة لارسطو ؟ الجوهر بالدرجة الاولى هو الجوهر الجزئي[٢٤] الذي نجده في العالم الخارجي ، هو هذا الكرسي بالذات وهذا الانسان عمرو وهذا التمثال واذا حللنا هذا الجوهر الى مبادئه الاولية او علله الاساسية وجدناها تتحلل الى اربعة[٢٥] .

أ ـ العلة المادية ـ وهي الارضية الثابتة او ذلك الذي يصنع منه الشيء ويدوم مثل البرونز والفضة والخشب والاجناس التي يكون البرونز والخشب نوعا منها ، يمكن اعتبار مادة الشيء بمثابة المادة الاولية او الخام التي يمكن ان تتخذ صورا متعددة وهي عبارة عن

امكانية تتقبل صورا متعددة الا انها كمادة لا تتغير فيمكن تغيير شكل الخشب مثلا ليصبح كرسيا او طاولة الا انه يبقى خشبا وان تغيرت صورته .

ب ـ العلة الصورية ـ تعريف الموضوع او العلة التي تجعل الكرسي كرسيا ولا تجعله طاولة . صورة الموضوع هي النمط الاولي او النموذج او الفكرة المتكاملة التي استعان بها من صنع الموضوع او انتجه وهي تمثل ماهية الموضوع .

العلة الصورية عند ارسطو هي المثال الافلاطوني الذي ينزله ارسطو من عالمه الذي وضعه افلاطون فيه ليضعه في الاشياء .

جـ ـ العلة الفاعلة ـ مصدر التغير او الحركة الاولي للشيء كالنحات الذي يصنع التمثال .

د ـ العلة الغائية ـ السبب الاولي او الغاية الذي وجد من اجله الشيء او هو سبب او غاية الحركة فمثلا العلة الغائية للكرسي هي الجلوس والراحة .

فالموجود الجزئي يتحلل في النهاية الى عنصرين اساسيين مادي وصوري[٢٦] لايمكن ان يوجد احدهما بدون الآخر (الا في حالة الصورة البحتة) الا ان العنصر المادي يمثل الامكانية او الوجود بالقوة[٢٧] قبل تصوره ولا وجود للمادة البحتة الا كامكانية بحته مما يعني ان الاهمية الاكبر هي للعنصر الصوري الذي يعطي العنصر المادي وجودا فعليا[٢٨] فهو الذي يجعل الجملة اكثر من مجرد كلمات والانسان اكثر من مجموعة من الاعضاء على سبيل المثال ، ان عنصر الصورة كبير الشبه

بالمثل الافلاطونية وهو يمثل عنصر الثبات في الموضوع ولا يوجد منفصلا عن المادة الا في حالة الصورة البحتة وهي تمثل الوجود الفعلي المطلق الذي يمكن أعتباره مصدر كل الوجود الجزئي في العالم الموضوعي ومصدر الحركة في هذا العالم من ناحية كونه الصورة التي تجذب اليها كل الموجودات لانها موضوع الرغبة وموضوع الفكر اذ تمثل الصورة البحتة غاية الكون وعلته الفاعلية ويطلق ارسطو على الصورة البحتة اسم الله(٢٩) .

ان الحقيقة كما يراها ارسطو حقيقة تتحرك نحو غاية ثابتة وهي متطورة وواقعية وازلية لابداية لها ولا نهاية ، وارسطو يعطي صورة مقنعة ومعقولة واقرب الى الواقع انطلاقا من الفكر والعلم السائدين في زمانه وهو يدخل فكرة الصورة البحتة او المحرك الذي لا يتحرك نتيجة التأثير الافلاطوني على فلسفته كما انها مفيدة لتفسير مبدأ الحركة في النظام الى جانب كونها تؤلف غاية الحركة في الكون وحتى وايتهيد الذي ينطلق من منظور علمي للكون يختلف عن منظور ارسطو يعترف بان ضرورات النظام الارسطي تتطلب مبدأ حركة هو الله كما تتطلب ضرورات النظام الوايتهيدي مبدأ تحقق Concretion (٣٠)

لقد كان بحث ارسطو في الوجود الموضوعي او في الكينونة بحد ذاتها وهو في هذا يمثل واقعية تامة لا تشك مطلقا في امكانية وجود الموضوع ولا تتحرج من الحديث بكل ثقة عن وجوده وجودا فعليا، اما كانت، فان بحثه يتركز على تجربة الوجود قبل الوجود الموضوعي في محاولة لايجاد العناصر المشتركة والضرورية لتجربة الذات للوجود او

الكينونة وهو لا يتعدى في دراسته هذه تجربة الوجود الى الوجود الموضوعي .

وتمثل ميتافيزيقا كانت اهم وانضج انتقال من الوجود والمباحث الاونتولوجية الى المعرفة والمباحث الابستمولوجية(٣١) . وعلى الرغم من ان فلسفة كانت تمثل نقدا للمعرفة الانسانية بصورة عامة الا انها تتجه للاهتمام بمشكلات المعرفة الميتافيزيقية بشكل خاص لتمثل محاولة جدية ومخلصه لاعادة الاعتبار الى الميتافيزيقا وانقاذ ما يمكن انقاذه منها وبناء الميتافيزيقا على أسس علمية سليمة . ان نقد المعرفة الانسانية والمعرفة الميتافيزيقية بشكل خاص للتوصل الى العناصر والصور القبلية لهذه المعرفة هو في حد ذاته ميتافيزيقيا وهذا ما يقرره كانت ايضا(٣٢) . هذه العناصر القبلية تتمثل بصورتي الزمان والمكان القبليتين والمقولات الاثنتي عشرة التي يفترض كانت انها تفرض من قبل الذات الانسانية على معطيات الحواس لترتيب ما يصلنا من العالم الخارجي ولا يمكن للمعرفة ان تحصل او تكتمل بدون مشاركة البناء القبلي للذات وقيامه بترتيب معطيات العالم الخارجي . فتقوم صورتي الزمان والمكان بترتيب مادة الاحساس ضمن اطاري الزمان والمكان(٣٣) . وهنا يجدر الملاحظة بان كانت يقرر شيئا لا سابق له من ان الزمان والمكان ليسا موضوعيين ولا هما جزء من العالم الخارجي وانما هما ذاتيان تفرضهما الذات على الاشياء في ادراكها لها ولا تكتفي الذات بترتيب مادة الاحساس بالاستعانة بصورتي الزمان والمكان القبليتين وانما تحتاج فوق ذلك الى الاستعانة بالمقولات او المفاهيم القبلية التي منها مقولة الجوهر والسببية والامكانية والضرورة وغيرها(٣٤) فتقوم الذات الانسانية باعطاء الاحكام على

معطيات الحواس بالاستعانة بهذه المقولات والمفاهيم العامة ويهمنا من هذه المقولات مقولتي العلاقة الاوليتين الجوهر والسببية اذ نجد فيهما حل كانت للمشكلة الميتافيزيقية القائمة في عصره والتي تتلخص في تبرير اعتقادنا بوجود الجوهر والسببية وجواب كانت في انهما جزء من الطريقة التي ننظر بهما الى العالم ولا سبيل الى ادراك الاشياء الا من خلالهما . كل هذا يعني ان معرفتنا للعالم لا تحصل عن طـــريق استلامنا السلبي لمعطيات العالم الخارجي وانما تحصل نتيجة فعالية تكوينية يمارســـها العقل على هذه المعطيات لتنظيمها وترتيبها بشكل مواضيع ادراكيـــة موحدة ودراسة مبادىء هذه الفعالية التكوينية هي كما ذكرنا في حـد ذاتها ميتافيزيقا الا انها ليست ميتافيزيقا بالمعنى التقليدي لانها لا تتصدى للوجود الا بشكل غير مباشر وفي النهاية لا تصل الى الوجود مطلقا[٣٥] . وقد وفـق مارتن هايدكر (١٨٨٩ـ١٩٧٦) باطـلاق اسـم الميتافيزيقا المؤسسة عليها لان دراسة شروط تجربتنا للوجود تمهد السبيل وتضع الاسس لدراسة الوجود[٣٦] . وهذا كل ما قام به كانت الا ان وضـع مثل هذه الاسس والمبادىء لتجربة الوجود لا تخلو من بعض التنبـؤ بطبيعة الوجود اذ كما قال فتكنشتاين (١٨٨٩ـ١٩٥١) في جملة تختصر هذه النظرة الكانتيه : « اننا في دراستنا للكون لا نزيد على ان نضـــع شبكة من نوع خاص على الكون ونقرر ان من الاسهل دراسة الكون من خلال شبكة لها اوصاف معينة»[٣٧] . وفي هذا القول وغـيره من الاقوال كان فتكنشتاين متأثرا بكانت بالدرجة الاولى .

الا ان كانت يتصدى لموضوع آخـر يعتبر من صلب اختصاص الميتافيزيقيا ولموقف خاص يعتبره الميتافيزيقي جزء من وظيفته ، هـــذا

الموقف يعمل على وضع حدود للتجربة الانسانية متخطيا هذه التجربة وغير معتمد على أساس تجريبي او على تجربة جزئية في وضع هذه الحدود . هذه الممارسة او الميل الطبيعي كما يسميه كانت يدفع الميتافيزيقي الى استعمال العقل استعمالا ليس تكوينيا كما في التجربة الجزئية وانما استعمالا تنظيميا للتوصل الى افكار مطلقة توحد التجربة في وحدة تركيبية مطلقة[٣٨] لتنظيم كلية التجربة بصورة عامة بالاستعانة بافكار العقل المفارقة ويقسّم كانت افكار العقل هذه الى ثلاث :

أ ـ « الوحدة المطلقة للذات المفكرة » ـ النفس .

ب ـ « الوحدة المطلقة لتسلسل شروط الظواهر » ـ العالم .

جـ ـ « الوحدة المطلقة لشرط كل مواضيع الفكرة بصورة عامة »[٣٩] الله .

وهو يعني بهذا ان الذات لا تكتفي بادراك مواضيع التجربة او الظواهر وانما عندها ميل طبيعي للتخلص من التسلسل بلا نهاية نتحاول وضع حدود نهائية للتجربة في افكار ثلاثة ، هذه الافكار ليست جزء من التجربة ولهذا فهي ليست تكوينية الا انها تحدد النهاية الحتمية للتجربة ولهذا فهي تنظيمية[٤٠] وكانت لا يعتبر اية معرفة لا تنطبق على معطيات التجربة معرفة علمية بالمعنى الدقيق ، فالعقل في استعماله هذا لا يؤدي الى حصول معرفة الا انه مفيد لانه ينظم التجربة ويحدد نهايتها الممكنة والمعقولة وعلينا ان لانكثر من استعمال العقل في قضايا لا تحمل امكانية التطبيق على التجربة لاننا في هذه الحالة نقع في متناقضات لايمكن حلها[٤١] .

ان الانتقال الى وايتهيد ينقلنا الى محاولة جديدة من منظور جديد لتثبيت المفاهيم والمبادىء العامة للوجود يتفادى الدخول في موضوع اولوية التجربة او اولوية الوجود ، فهو يحلل الكينونة او الحقيقة الى مكوناتها الاساسية بشكل يشبه محاولة لايبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) تحليل الكون الى مونادات[٤٢] يسميها وايتهيد بالحوادث او المناسبات الفعلية[٤٣] ويعرفها على انها « الاشياء النهائية والواقعية التي يتكون منها العالم »[٤٤] هذه المناسبات الفعلية تكوّن اذن جوهر الحقيقة والحقيقة هي عبارة عن تطور خلاق مستمر وصيرورة دائمة[٤٥] تتحلل الى مناسبات فعلية مرتبطة مع بعضها ارتباطا وثيقا وكل مناسبة فعلية ترتبط مع ما سبقتها من مناسبات بعلاقة استيعاب او مسك prehension[٤٦] مما يعني ان كل مناسبة فعلية ترتبط بالواقع ارتباطا يتصف بالفعالية ويبتعد عن السلبية من ناحية ، كما يعنى ان الماضى يحتوي الحاضر بشكل فعال وموحد وهذا الاستيعاب يتدرج من البسيط الى المعقد ليشمل كل المناسبات الفعلية وليعطي صبغة او طبيعة معرفية وتقييمية لكل المناسبات الفعلية مهما بلغت من البساطة والبدائية وفي هذا يستوى الله وابسط الموجودات ، وفي هذا يحاول وايتهيد اضفاء الترابط على عملية الصيرورة التي هي الكون او الواقع او الحقيقة مع المحافظة على فردانية كل مناسبة فعلية او كل حادثة جديدة في نسيج العملية التي تكون الحقيقة اذ ان المناسبة الفعلية الجديدة تستوعب الكون وبهذا فهي ترتبط به وفي الوقت ذاته تكوّن من خلال استيعابها هذا بناءها الذاتي والمنفرد وبطريقتها الخاصة[٤٧] والمناسبة الفعلية الواحدة لا تتكرر ولا تشابه غيرها من المناسبات الفعلية فهي تعبر عن

ابداع وتجديد في عملية التحقق او عملية النمو والتكامل الموحد concrescence التي تكون المناسبة الفعلية جزء منها .

ان المناسبات الفعلية تمثل الوحدات الواقعية للصيرورة التي هي الحقيقة الا ان نسيج الحقيقة المتغير والمتحرك يظهر في جريانه مواضيع او اشياء اخرى ليست واقعية وانما هي اشكال او انماط متكررة يمكن التعرف عليها في مناسبات فعلية متعددة يسميها وايتهيد بالاشياء الازلية eternal objects [٤٨] وهي لا توجد فعليا وانما تمثل امكانيات تشابه مُثُل افلاطون او الوجود بالقوة عند ارسطو ويمكن ان تتحقق فعليا عن طريق دخولها ingression في المناسبات الفعلية . ان مجموعة الاشياء الازلية غير المتحققة تكون طبيعة الله الاولية primordial nature of God ومن هنا تستمد اهميتها . وطبيعة الله هذه هي التي تؤمن التطور الخلاق في الكون[٤٩] كما انها مبدأ التحقق في الكون . ولله طبيعة لاحقة consequent تتأثر بالتغيرات الحاصلة في العالم وبالتطور الخلاق للحقيقة حيث يتحقق العالم الفعلي في وحدة طبيعة الله اللاحقة[٥٠] طبيعة الله الاولية او السابقة لا متناهية « حرة وتامة واولية وازلية وناقصة فعليا ولا واعية اما الجانب الاخر (الطبيعة اللاحقة) فأنه يأتي مع تجربة المناسبات الفعلية في العالم الزماني ثم ينسق مع الناحية السابقة . هذا الجانب محدد وناقص وناتج ودائم وواعي وموجود وجودا فعليا » . هنا يتم ، عن طريق الطبيعة اللاحقة ، حفظ صيرورة العالم بكليتها وتوحيد كثرة وتعدد العالم في المناسبة الفعلية التي هي الله الذي يعتبره وايتهيد ليس شذوذا عن القاعدة والنظم الميتافيزيقية وانما افضل نموذج للنظام .

٤ ــ من الملاحظ ان اكثر الفلاسفة ، والميتافيزيقيين بشكل خاص، كانوا ملمين بعلم واحد او اكثر من العلوم فمنهم من درس الفيزياء[٥١] ومنهم من درس الرياضيات[٥٢] ومنهم من درس الاحياء[٥٣] دراسة عميقة وكانت فلسفتهم تقوم على التعميمات من هذه العلوم الى الميتافيزيقا وقلما نجد من كتب في الفلسفة دون الالمام بعلم واحد من العلوم على الاقل او بدون اخذ نتائج العلم بنظر الاعتبار[٥٤] .

والميتافيزيقا تتأثر وتؤثر بالنظرة العلمية السائدة في عصرها وفي كثير من الاحيان تكون الميتافيزيقا محاولة للتوصل الى النتائج النهائية والافتراضات الاساسية التي يتضمنها التمسك بنظرة علمية معينة كما قد يقوم الميتافيزيقي بمحاولة استخلاص نظرة شاملة من نتائج العلوم المختلفة التي تبحث في جوانب الحقيقة المتعددة[٥٥] .

ونحن نجد هذا الارتباط بالعلم واضحا عند ارسطو حيث كان ارسطو ملما بكل العلوم في عصره كما كان مختصا بعلم الاحياء بالذات ولربما كان تخصصه هذا هو السبب في واقعيته واعطائه الحقيقةالاكبر للجزيئات الموجودة في العالم الخارجي . فاذا كان ارسطو يعطي للصورة أهمية اكبر من المادة فان الصورة مقتبسة من المثل الافلاطونية وهذه الاخيرة ذات طبيعة رياضية تأثر افلاطون بدراسته للرياضيات في صياغته لها واذا كانت الصورة التي يرسمها ارسطو للحقيقة تختلف عن الصورة التي رسمها كل من كانت ووايتهيد من بعده فان ذلك ناتج عن اختلاف النظرة العلمية السائدة في عصر كل منهم فالعلم في زمن ارسطو يبحث في مادة الكون على اساس كونها ارضية او خلفية ثابتة substratum تحمل صفات متغيرة وطارئة كما يحمل الاناء الاشياء التي توضع فيه ومن

هنا جاء تعريف ارسطو[٥٦] للجوهر على انه « ذلك الذي لا يحمل على موضوع ولا يوجد في موضوع » وانما هو الذي تحمل عليه كل الصفات كما ان مفهوم الهيولى او المادة الاولى جاء من اعتقاد ارسطو باستمرارية امتداد المادة[٥٧] مع رفض الاعتقاد بوجود المكان الفارغ او الفراغ[٥٨] . وضرورة المحرك الذي لايتحرك[٥٩] تأتي من ضرورة وجود مبدأ حركة يأتي من خارج العالم الميكانيكي اذ كما انه لا يمكن للبرهان في المعرفة العلمية ان يتسلسل الى ما لا نهاية وعلينا في النهاية ان نصل الى مجموعة من القضايا غير مبرهنة ولاتحتاج الى برهان وانما يمكن ادراك صحتها بصورة حدسية مباشرة[٦٠] كذلك في الوجود لا يمكن للحركة ان تستمر الى ما لا نهاية[٦١] وانما من الضروري وجود محرك لا يتحرك يكون هو علة الحركة ومصدرها وفي المحرك الذي لايتحرك ترتبط الميتافيزيقا بالفيزياء والفلسفة بالعلم وتحدده .

لقد نجح ارسطو في ايقاف تطور العلم طيلة الفي عام تقريبا حتى حدثت الثورة العلمية في القرنين السادس والسابع عشر التي تمثل فيزياء نيوتن (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧) قمتها ، وكان اهم ما تميزت به النظرة الجديدة الى الكون محاولتها تفسير الظواهر الكونية المختلفة تفسيرا رياضيا[٦٢] والتخلص من كل التفسيرات غير الضرورية والمعقدة لظواهر الكون التي لا يمكن التثبت من صحتها حيث يقول نيوتن في فصل (قواعد التفكير في الفلسفة) ، ويعني الفلسفة الطبيعية او الفيزياء : « علينا ان لا نسمح بدخول علل تفسر الاشياء الطبيعية اكثر مما هو صادق وكافي لتفسير ظواهر هذه الاشياء »[٦٣] وعلى الرغم من ان هذا لا يعني ان فلسفة نيوتن

الطبيعية كانت خالية من الميتافيزيقا[٦٤] الا ان نيوتن كان حذرا من تثبيت ما لم يتمكن من التثبت منه علميا[٦٥] .

ان اهمية نيوتن بالنسبة لبحثنا تتركز في ناحيتين : تطور التفكير العلمي الذي يؤثر بدوره على طبيعة التفكير الفلسفي والميتافيزيقي في الفلسفة الحديثة واختلافه عن الفلسفة والعلم الارسطيين من ناحية ، ومن ناحية اخرى تهمنا علاقة هذا التغير بميتافيزيقا كانت التي كانت في كثير من الاحيان محاولة لاستنتاج النتائج الفلسفية والنهائية لفيزياء نيوتن . لقد اهتم كانت بدراسة الرياضيات والفيزياء وحاول في بداية كتابه (نقد العقل المجرد) بيان طبيعة القضايا التي تعطينا معرفة علمية واعتبر ان هذه القضايا تتصف بانها قبلية وتركيبية[٦٦] قبلية بمعنى انها ضرورية وعامة وموجودة قبل التجربة ومستقلة عن التجربة ، وتركيبيه بمعنى انها تعطينا معلومات جديدة عن الموضوع اى انها ليست تحصيل حاصل وقد اكد كانت على ان قضايا الرياضيات[٦٧] والفيزياء[٦٨] من هذا النوع . وان كان الاتفاق سائدا على كون قضايا الفيزياء ضرورية وعامة من ناحية وتعطينا معلومات جديدة عن مواضيعها من ناحية اخرى فأن هذا الاتفاق ليس كليا على كون قضايا الرياضيات تركيبية اذ ان هنالك من يعتبرها مجرد تحصيل حاصل الا ان من بين فلاسفة الرياضيات المعاصرين من يتفق مع كانت في رأيه هذا[٦٩] مما يعطيه الاهمية الكافية . وميتافيزيقا كانت يهمها كما ذكرنا تحليل امكانيات المعرفة الانسانية لمعرفة حدودها والمعرفة العلمية (الرياضيات والفيزياء بشكل خاص) جزء اساسي من هذه المعرفة الانسانية . ولكي يثبت كانت كون قضايا الرياضيات

والفيزياء قبلية تركيبية او بمعنى أخر يثبت ان قضاياهما قضايا تقـــدم معرفة علمية ، فهو يربطهما بالبناء القبلي للعقل وبصورتي الزمان والمكان القبليتين وهو في هذا يحاول ترسيخ نظرية نيوتن في الزمان والمكـــان المطلقين من خلال جعلهما شرطين ضروريين لحصول التجربة الانسانيـة على الاطلاق وتشبيههما بالنظارتين المحكوم على ألانسان ان يدرك الاشياء من خلالهما • ومن ناحية اخرى فقد اعتبر كانت الجوهر من مقولات الفهم أى انه جزء من البناء للقبلي للمعرفة الانسان وهو لهذا ثابـــت وضروري وعام لكل تجربة وهو في هذا متأثر بمفهوم الكتلة او كميـة المادة الموجودة في الجسم عند نيوتن حيث يعتبر نيوتن الكتلة ثابتة لا تتغير اثناء السرعة الميكانيكية المعروفة فهي تبقى محافظة على ذاتها سواء كانت ثابتة ام متحركة[٧٠] •

واذا انتقلنا مع الميتافيزيقي الثالث الى القرن العشرين نشهد تغـير انصورة التي يرسمها ميتافيزيقي هذا العصر نتيجة تغير النظرة العلمية في هذا العصر •

لقد ادى تغير المفاهيم العلمية في بداية القرن العشرين الى ثـورة في النظرة العامة الى طبيعة الكون[٧١] • أهم مايميز هذه النظرة محاولة العلماء تفسير العالم تفسيرا رياضيا لايخلو من الجمالية ولايهتم بتفسير القوى في الطبيعة كما فعل نيوتن[٧٢] وانما يهتم بالوصف البنيـــوي للعالم[٧٣] •

لقد تغيرت النظرة التي كانت تعطي الاولوية للمادة واصبحت المادة لاتزيد على كونها كمية معينة من الطاقة والطاقة تفسر من خلال الحوادث لدخول الزمان كبعد رابع يصف الحوادث[٧٤] كما اصبح كل من الزمان

والمكان والكتلة متغيرا نسبة الى الشخص الشاهد . كما تحول الاهتمام من الجوهر الثابت الى الحقل Quanta في الفيزياء والحقل هو مجموع خطوط القوة فالكون يتصف بأنه بيث موجات مغناطيسية ـ كهربائية[٧٥] وهو بهذا القدر يتمتع بالاستمترارية وقد ادى دخول الزمان كبعد رابع للابعاد المكانية الثلاثة الى افتراض بعض العلماء وجود المتصل الزماني ، حيث اعتبر منكوفسكي ان التغيرات في الزمان والمكان تلغي بعضها بعضا مما يؤدي الى ان الجمع بين الاثنين ينتج عنه نتيجة متساوية لجميع المشاهدين[٧٦] .

ومن الاكتشافات العلمية الاخرى التي اثرت على النظرة العامة الى الكون نظرية الكم (١٩٠٠) التي تعتبر ان الطاقة المشعة تنبعث على هيئة وحدات متقطعة اطلق عليها اسم الكمات Quanta [٧٧] مما ثبت الرأى القائل ان الطاقة ليست سيلا مستمرا وانما مكونة من كميات متقطعة تتغير عن طريق القفزات[٧٨] .

لقد اثرت هذه النظريات وغيرها على ميتافيزيقا وايتهيد اذ ان وايتهيد عالم قبل ان يكون ميتافيزيقيا ولم يمارس الميتافيزيقا الا في نهاية حياته العلمية الحافلة فقد بحث في المنطق والرياضيات ثم انتقل الى فلسفة العلم حتى ان له رأى خاص في النظرية النسبية[٧٩] واذا اردنا ان نتوصل الى معرفة مدى تأثير العلم الحديث على ميتافيزيقا وايتهيد لا نحتاج الى ان نذهب ابعد بكثير من كتابة (العلم والعالم الحديث) الذي يبحث فيه في اربعة مواضيع جديدة في العلم النظري[٨٠]

أ ـ نظرية الحقل في الفيزياء التي تفترض الاستمرارية وهي تعني ان شيئا ما يحدث بأستمرار في الكون .

ب ــ نظرية الذرات التي تفترض الانقطاع في الالكترونات وانبروتونات ونجده ليس فقط في الكيمياء والفيزياء وانما نجده في الاحياء حيث نجد الخلية ووايتهيد يعطي اهمية لفكرة اخرى مرتبطة بالاحياء هي فكرة (العضوية) التي تدل على ان الخلايا ترتبط ببعضها ارتباطا عضويا وثيقا لتكون وحدات تامة تظهر بين مكوناتها علاقات داخلية ووايتهيد يعتبر انه على الرغم من ان النقطتين أ ، ب تظهران نوعامن التناقض الا انه يمكن حله أذ لا يمنع من وجود استمرارية يمكن تحليلها الى وحدات ووايتهيد يفترض هذه الامكانية في فلسفته .

ج ــ فكرة حفظ الطاقة التي يعتبر وايتهيد انها تعبر عن الثبات النوعي في وجه التغير .

د ــ نظرية التطور في الاحياء التي تؤمن ظهور احياء عضوية جديدة في عملية الصيرورة .

لقد اثرت كل هذه الافكار العلمية على طبيعة التفكير الميتافيزيقي عند وايتهيد حيث ان الحقيقة عنده عملية صيرورة مستمرة او سيل لا ينقطع يمكن تحليله الى وحدات اساسية ذرية هي الحوادث وهذه الصيرورة هي محاولة فلسفية للاستفادة من المجال او الحقل الفيزياوي كما ان الحوادث تشبه الخلايا في الاحياء والالكترونات في الفيزياء والحادثة نقطة زمانية ذات ابعاد اربعة يكون الزمان البعد الربع فيها[٨١] وهي اقرب الى الطاقة منها الى المادة وهي ترتبط بما يسبقها وما يليها ارتباطا عضويا كما في الاحياء الا انها في الوقت ذاته تتمتع بشخصية خاصة بها كالخلية والالكترون وتعبر كل حادثة جديدة عن الخلق والابداع كما في نظرية اتطور هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تعبر

الحادثة عن انماط عامة وكلية وثابتة يسميها وايتهيد بالمواضيع الازلية لا تتغير وانما تبقى ثابتة مثل كمية الطاقة الثابتة .

٥ ـ يحاول الميتافيزيقيون منذ بداية الفكر الفلسفي الاغريقي التأكيد على صحة اقوالهم وعلى كونها لا تقبل الشك بطرق مختلفة فاذا اخذنا بنظر الاعتبار ان من أهم الاسباب التي تدعو الى ممارسة الميتافيزيقا هي مشكلة الخطأ والصواب وامكانية الخداع والوهم فلابد ان يكون اهتمام الميتافيزيقي منصبا على تثبيت انه قد توصل الى التخلص من امكانية الوهم والخداع فيما يقول ولقد كان للسفسطائيين الاثر الاكبر في اثارة مشكلة التمييز بين الحقيقة الاصيلة وبين ما يبدو لنا كحقيقة مما أدى بافلاطون مثلا الى رفض كل المعرفة الحسية في صالح المعرفة العقلية واذا كانت الميتافيزيقا تجد نفسها مطالبة بتبرير مدى صحة اقوالها منذ أقدم العصور فان مهمة الميتافيزيقي الحديث والمعاصر اصبحت اصعب بكثير نظرا للتطورات في النظرة الى طبيعة الشروط التي يجب ان تتمتع بها القضايا لتكون صادقة من ناحية ونتيجة الشك الذي بذره هيوم وفتكنشتاين في الفلسفة والتي كان التغلب عليها والتلاؤم معها من اصعب المهمات امام الميتافيزيقي من ناحية اخرى .

وقد حل ارسطو مشكلة اليقين بان اعتبر الميتافيزيقا من انبل العلوم وان قضايا الميتافيزيقا تهتم بالمبادىء الاولى والنهائية للكون(٨٢) وفي نظر ارسطو ان البرهان لايمكن ان يستمر الى ما لانهاية وان هنالك مقدمات اولية مستقلة عن الاثبات تكون صادقة ، اولية ، مباشرة ومعروفة اكثر من استنتاجاتها . هذه المبادىء تتوصل الى معرفتها عن طريق الحدس والحدس هو اكثر العمليات الفكرية دقة اذ انه أدق حتى

من المعرفة العلمية والحدس والمعرفة العلمية صادقان دائما .

اما كانت فان السبيل امامه لم يكن ممهدا كما كان بالنسبةلارسطو وانما كان مليئا بالعراقيل ولهذا فان حله يمكن ان يعتبر عبقريا نظـرا لطبيعةالصعوبات التيواجهها.لقد حول كانت مركز الثقلمن الموضوع الى الذات كخطوة اولى كما ذكرنا وذلك لان اليقين فيما يخص الموضوع لم يعد ممكنا لسقوط نظرية الجوهر المادي وهذا ما نجد كانت يردده في كل وقت اذ لايمكن بالنسبة لكانت معرفة الموضوع او الشيء بذاتـه Ding an-sich [٨٤] ، ويرى كانت انه اذا اردنا ان نجد اليقين فلا بد ان يكون في الاشياء التي لا مناص لنا من تجربة الحقيقة الا من خلالها او فيالعناصر الضروريةلحصول التجربة. هذهالعناصر يقينية لانها لابد منها أي انها الشرط الذي لايمكن بدونه ان تحصل التجربة وهذا ينطبق في رأي كانت على البناء القبلي للعقل اذ ان الزمان والمكان والمقولات وحتى الافكار الترانسندنتاليه كلها شروط اساسية لحصول التجربة وهي فوق كونها ضرورية وعامة ومستقلة عن التجربة (بمعنى اخر قبلية) فانها ايضا تركيبية اي انها ليست مجرد تحصيل حاصل وانما تعطينا معلومات جديدة عن الحقيقة . مواضيع الميتافيزيقا اذن والقضايا التي تخصهـا يقينية بقدر كونها لا يمكن الاستغناء عنها في التجربة وهي ايضا مفيـدة لانها ترتب معطيات الحواس وتضيف اليها .

بينما يتخلص وايتهيد من الشكليات التي تفرضها النظرة التقليدية المحافظة على قضايا الميتافيزيقا من ضرورة كونها يقينية لا مجال للشك فيها مطلقا وعلى مر العصور حيث يقول وايتهيد « ان كل فلسفة ستزول في دورها »[٨٥] لان لكل عصر فلسفته الا انها في الوقت ذاته تكون قد

أدت دورها في التعبير عن بعض الحقائق العامة عن الكون التي يمكن ان تقيّم وتنسق مع غيرها من الحقائق • الا ان وايتهيد في الوقت ذاته يفرض بعض الشروط الاساسية التي يجب ان يستوفيها اي نظام ميتافيزيقي على الاطلاق لكي ينتج معرفة لها قيمتها وهذه الشروط هي ان يكون النظام متماسكا ومنطقيا وممكن التطبيق ووافيا • ويعني بالتماسك ان تكون القضايا مترابطة ترابطا عضويا ومكملة احداها للاخرى بحيث لايكون لها معنى بمعزل عن النظام • ويعني بالمنطقية انه لا تناقض بين القضايا وان تكون الحدود معرّفة ويستدل على النتائج حسب قواعد الاستدلال الصحيحة • وكون النظام ممكن التطبيق يعني ان قضايا النظام تجد لها شواهد في العالم الخارجي ولا تبقى معلقة في هواء التجريدات كما يجب ان تكون قضايا النظام وافية بمعنى انها تأخذ كل جوانب الحقيقة بنظر الاعتبار(٨٦) •

فمتى ما كان الفيلسوف الميتافيزيقي منطقيا ومعقولا في بنائه للافكار والانظمة الميتافيزيقية كان نظامه جيدا وجديرا بالاهتمام في نظر وايتهيد•

الهوامش :

(1) Metaphysics, BK IV, 1003a, 18-20.

(2) Ibid. 23.

(3) Immanuel Kant, Critique of Pure Reason, trans. by N. Kemp Smith, Lon., Macmillan & Co. Ltd., 1956, p. 22.

٤ – القبلي a priori يعني قبل التجربة بعكس البعدى a posteriori الذي يعني بعد التجربة او ما هو تجريبي ·

(5) Ibid., p. 659.

٦ – اعتبر ديكارت ان افضل بداية للميتافيزيقي هي الشك في كل ما هو ليس متأكدا من صحته من القضايا حتى يتم التأكد منها الا ان القضية الوحيدة التي لا مجال للشك فيها هي قضية « انا افكر » التي تؤدي الى نتيجة وجود ذات او جوهر مفكر ثم يتدرج ديكارت من وجود الجوهر المفكر الى وجود الله ثم وجود الجوهر المادي وفي رأيي ان وضع ديكارت للوجود المادي ووجود العالم الخارجي موضع الشك ادى الى بداية موجة في الفلسفة لم يكتب لها ان تنتهي وكان كانت من ضمن من سقط فيها حتى اصبح بعض الفلاسفة يعتقد ان من واجبه تأمين وجود العالم الخارجي قبل كل شيء ·

٧ – لقد تتبع هيوم خطوات ديكارت ولوك واوصلها الى نتيجتها الحتمية حيث قرر انه نظرا لعدم امكانية معرفة الجوهر المادي بواسطة التجربة فانه لا ضرورة من افتراض وجوده فرفضه ·

(8) Whitehead, A.N., Process and Reality, N.Y., Harper and Row, 1960, p. 4.

(9) Analytica Posteriora, BK II, 100 a — 100 b.

(10) On the Soul, BK III, 431b.

(11) Anal. Post., BK II 1006. انظر ايضا في المعرفة عند ارسطو On the Soul, BK III, 432 a, 5ff.

(12) Anal. Post, BK I, 876, p 27 — 35.

(13) Critique of Pure Reason, introduction pp. 41 f.
حيث يقول كانت « ما من شك ان كل معرفتنا تبدأ بالتجربة الا انه على الرغم من ان كل معرفتنا تبدأ بالتجربه الا ان ذلك لايعني انها تنبع من التجربة »

(14) Process and Reality, p. 54.
(15) Ibid, p. 165.
(16) Ibid., p. 7.

١٧ ـ الامثلة على هؤلاء كثيرة ابتداء من افلاطون وانتهاء ببرادلي ٠

١٨ ـ كلمة جوهر لا تعني هنا اكثر من الصفات الاساسية التي تميز موضوعا ما فجوهر الحقيقة يتلخص في كونه اهم مميزات الحقيقة الضرورية او ما يعرف الحقيقة بدون زيادة او نقصان ويتحرج الكثير من الفلاسفة من استعمال مفهوم الجوهر بعد ان استعمل بكثرة وبدون تمحيص ليعطي اهمية وحقيقة لكثير من المواضيع التي لا حقيقة لها ٠

١٩ ـ المثال الافلاطوني هو فكرة كلية موضوعية لها حقيقة خاصة بها ووجود موضوعي الا انه غير حسي والمثل هي بمثابة نماذج لكل الاشياء الموجودة في العالم الخارجي كما انها مصدر حقيقة هذه الاشياء فمثال الكرسي مثلا هو فكرة الكرسي التي لا تتغير ولا تزول والتى تستمد منها كل الكراسى الموجودة في العالم حقيقتها وتحاول تقليدها ومشاركتها ٠

٢٠ ـ يعتبر فتكنشتاين عبارات الميتافيزيقا خالية من المعنى الا ان كتابه رسالة منطقية فلسفية هو محاولة ميتافيزيقية لتحديد مبادىء الحقيقة الثابتة من خلال تحليل اللغة التي تصف العالم وصفا تاما ودقيقا ليكون تحليل اللغة وسيلة الى تحليل العالم الذي تصفه اللغة ٠

(21) Process and Reality, p. 4.
(22) Metaphysics, BK. IV, 1003a
(23) Ibid., BK. VII, 1028b.
(24) Categories, ch 5, 2 a
حيث يقول ارسطو : « الجوهر في معناه الحقيقى والاولي وبالمعنى الدقيق للكلمة هو ذلك الذي لا يحمل على موضوع ولا يوجد في موضوع مثل الانسان او الحصان الجزئي ٠ »
(25) Physics, BK II, 194 b—195 a
Metaphysics, B V, 103 a.

(26) Metaphysics, BK. VII, 104 b.
(27) Ibid., BK IX, 1048a
(28) Ibid., BK IX, 1050b
(29) Ibid., BK XII, 1072 a f.
(30) A.N. Whitehead, Science and the Modern World Cambridge University Press, 1953, p. 216.

٣١ ـ هذا الانتقال الذي مهد له ديكارت الا انه اصبح اساسا لنظام فلسفي فيه من الجدية والعبقرية والابداع ما لم يحلم به ديكارت ٠

(32) Critique of Pure Reason p. 659.

انظر تعريفه للميتافيزيقيا من كتابه نقد العقل المجرد كما ورد في هذا البحث ٠

(33) Ibid, p. 67.
(34) Ibid., p. 113.

٣٥ ـ يبقى الموضوع الموجود في العالم الخارجي مجهول القيمة (س) بالنسبة لكانت لانه متميز عن كل ادركاتنا له ٠

Critique of Pure Reason, p. 135.

(36) M. Heidegger, Kant and the Problem of Metaphysics, trans. by J.S. Churchill, Indiana Univ. Press, Bloomington 1962, pp. 3 ff.

(37) L. Wittgenstein, Tractatus Logico-Philosophicus, trans. by Pears and McGuinness, Routledge and Kegan Paul, Lon., 1961, 6.341.
(38) Critique of Pure Reason, p. 323.
(39) Ibid., p. 323.
(40) Critique of Pure Reason, pp. 450 ff.

٤١ ـ في هذا الموضوع انظر كتاب طبيعة الميتافيزيقيا نشر بيرز ، ترجمة د٠ كريم متي ، بغداد ١٩٦٨ ٠ مطبعة الارشاد الفصل السابع (نقد الميتافيزيقيا) ص١٢١ وما يتبعها ٠

٤٢ ـ يحلل لاينبتز جوهر الحقيقة الى نقاط رياضية تسميها المونادات او الوحدات وكل موناد عالم قائم بذاته يعكس كل فعاليات الكون

وهو مستقل استقلالا تاما عن غيره من المونادات لا يؤثر عليها ولا يتأثر بها والمونادات كلها تمتلك نوعا مبدئيا وبسيطا من الوعي والادراك وبعضها تتدرج الى انواع اعقد من الادراك ·

٤٣ ـ الحادثة event تسمية نجدها في المؤلفات المبكرة لوايتهيد وهي تعنى كل ما يحدث في الكون اما المناسبة الفعلية actual occasion او الشيء الفعلي actual entity

فانها تسمية متأخرة يدخل فيها عنصر الوعي او الفكر · انظر

A.N. Whitehead, An Anthology, selected by S.C. Northrop and M.W. Gross, Macmillan· N.Y. 1961, p. 928.

(44) Whitehead, Process and Reality, p. 27.

(45) Ibid., p. 33.

(46) Ibid., p. 29 and p. 35.

(47) Emmet, D, Whitehead's Philosophy of Organism, 2nd ed., Macmillan, Lon., 1966, p. 89.

(48) Process and Reality p. 34.

(49) Ibid.· p. 89.

(50) Ibid., p. 524.

٥١ ـ كانت ، ديكارت ، وايتهيد ، صموئيل الكسندر

٥٢ ـ افلاطون ، ديكارت ، لايبنتز ، وايتهيد ، رسل ، فتكنشتاين·

٥٣ ـ ارسطو ، بركسون

٥٤ ـ الا ان هنالك شواذ مثل هيكل وبرادلي من الذين اهملوا نتائج العلم وحجتهم قائمة على ان العلوم غير قادرة على كشف الحقيقة المطلقة التي يبحث عنها الفيلسوف وكلاهما مثالي مطلق ومثل هؤلاء الميتافيزيقيين قلة ·

٥٥ ـ في هذا الصدد انظر كتاب

Burtt, The Metaphysical Foundations of Modern Science, Lon. 1964.

حيث يعتبر بيرت ان الاسباب المؤدية الى الاكتشافات الجديدة في العلم هي اسباب ميتافيزيقية بالدرجة الاولى تتعلق بنظرة العالم الى طبيعة الحقيقة والكون بشكل عام · كذلك يجمع الباحثون بان التمسك بميتافيزيقا

ارسطو طيلة العصر الوسيط ادى الى تعثر العلم وعدم تطوره حتى جاء من يحاول التخلص من السيطرة الارسطية على الفكر ، حيث ان وايتهيد يقول في كتابه Science and the Modern World, p. 97.
« ان شهرة المنطق الارسطي اخرت تطور العلم الفيزيائي اثناء العصر الوسيط » .

(56) Categories, 2 a.
(57) Physics, BK VI, 232 a.
(58) Ibid., BK IV. 216 a.
(59) Metaphysics, BK XII, ch. 6, 1072 a. 21-26.
(60) Post. Analytics, BK I, 74b.
Meta., BK II. 994 a.
(61) Physics, BK VII, 242 a.
(62) Newton. I., Mathematical Principles of Natural Philosophy, Great Books of the Western World, Encyclopaedia Brittanica Inc., Chicago. 1952, p. 1.
(63) Ibid., p. 270, vol. I.

٦٤ ـ مثلا نظريته في الزمان والمكان المطلقين والاثير .

(65) Dampier, W.C., A History of Science, University Press, Cambridge, 1966, 170 f.
(66) Critique of Pure Reason, pp. 43 ff.
(67) Ibid., pp. 52 ff.
(68) Ibid., pp. 54 ff.
(69) Körner, S., Kant. Penguin Books, London 1960, pp. 39 ff.
(70) Newton, Principles, op. cit., p. 5.

٧١ ـ د. ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، منشورات الجامعة الليبية ، بيروت ، ١٩٧٠ انظر الفصل عن البرت أينشتاين ص ـ ١٥١ ـ وما يتبعها .

(72) Newton. Principles, op. cit., Preface to the 1st ed., p. 1.

(73) Whitehead, Science and the Modern World, p. 127.

(74) Einstein, A, Infeld, L, The Evolution of Physics, University Press, Cambridge, 1961, p. 151.

(75) Ibid. p. 153.

(76) Dampier, op. cit., p. 405.

٧٧ ـ ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ص١٧٣

(78) Einstein· Infeld, op. cit. p. 254.

(79) Whitehead, A.N. The Principle of Relativity with Opplication to Physical Science.

(80) Whitehead, Science and the Modern World, pp. 122 ff.

(81) Whitehead, A.N.· An Anthology, Macmillan Co., N.Y. 1961, p. 316.

(82) Meta., BK I, 981 b.

(83) Post. Anal.· BK I, 72 b and Ibid., 71 b.

(84) Critique of Pure Reason, p. 135.

(85) Process and Reality, p. II.

(86) Ibid., pp. 4 ff.